

تفريغ

كلمة في حياة خير الأنبياء

للشيخ الفاضل

عبد بن عبد الله الجبيري

حفظه الله تعالى

سورة التوحيد



ميراث الأنبياء

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

Miraath.Net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسِّرْ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يُقَدَّمَ لَكُمْ تَسْجِيلًا لِكَلِمَةِ

لفضيلة الشيخ العلامة

عُبَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْمَانَ الْحَاكِمِيُّ

ألقاها يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر ضمن فعاليات دورة
الريحانية الشرعية الأولى، التي أقيمت للإخوة السوريين بالريحانية بتركيا، شهر

ربيع الآخر عام ١٤٣٥ هجرية

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع بها الجميع.

الحمد لله، وصلى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، لا بأس، لا بأس يا أبناءنا في سوريا، لا بأس، طهورٌ إن شاء الله، أعظم الله لكم الأجر، وفرَّجَ عنكم الكربة، وكشف الغُمَّة، حديثي - بارك الله فيكم - أنتم ومن معكم من أبنائنا وأصحابنا وتلامذتنا، يتعلَّق من جملتين:

الجملة الأولى: في فضل العلم وأهله ومكانتهم، وفي هذا آيةٌ واحدة وحديث.

الجملة الثانية: والثانية في المُسلِّيات والمُبشِّرات، التي إذا سَمِعها المُسلم صَبَرَ واحتسَب.

الجملة الأولى: وهي فضلُ العِلْمِ وأهله ومكانتهم، في الكتابِ الكريم من الآيات الكثيرة التي من تأملها عِلِمَ مكانة أهل العِلْمِ الشرعيَّة عند الله - عزَّ وجلَّ -، فشَمَرَ عن ساعِدِهِ، وجدَّ واجتهد، وبذل ما يملك من وقتٍ ومالٍ في تحصيل هذا العلم الشرعي،

ومن تِلْكَم الآيات قوله - تعالى -: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا

بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]

فالشُّهُودُ على وحدانية الله - عزَّ وجلَّ -، الذين استشهدهم - سبحانه وتعالى - على هذا الأصل، بل هو أصلُ الأصول، أصلُ الدين وأساسُهُ وحدانيته.

الشاهد الأول: هو - جلَّ جلاله - فإنَّه أعلم بنفسه وبخلقه من غيره ﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾

الثاني: الملائكة الكرام ﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧] فسماهم -

سبحانه وتعالى - فقال: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

الثالث: أولو العلم، وهذا العلم هو العلم الشرعي، الذي هو فقه الكتاب الكريم، وفقه

سنة محمد - صلى الله عليه وسلم - وفقه فهم السلف الصالح؛ وهم كل من مضى بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسار على أثره، وأساسهم الصحابة، ثم أئمة التابعين، ثم من بعدهم من أئمة العلم والإيمان، في القرون المفضلة الثلاثة، التي شهد لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالخيرية في غير ما حديث صحيح عنه، هذا هو العلم الشرعي، فأهلُهُ هم وخُدُهم الذين تقوم بهم حجة الله على الخلق، ومن نال من معرفة شرع الله وعبادته من غير علماء الشرع، من الأطباء والمهندسين و.... وغيرهم.....

وأما الأحاديث، فقد اخترت منها هذا الحديث، وهو مُتَّفَقٌ عليه في الصحيحين، عن

معاوية - رضي الله عنه - عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» والمعنى أن الناس قِسْمَان:

القسم الأول: قسّم من أراد الله به الخير، وهيأه له، وهذا يرزقه في دينه الفقه، حتى يعلم أنه

على بصيرة، فيفعل ما أمر به من الأوامر وهو يعلم أنها من الله ومن رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ويدع ما يدع لعلمه أن ذلك مما نهى عنه الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -.

القسم الثاني: الثاني، من لم يُرد الله به الخير، وهذا ما رسخ في علمه - سبحانه وتعالى -

وجرى به قلمه، وكتبه في اللوح المحفوظ، بأنه ليس أهلاً للخير، فهذا يحجب عنه الفقه، فيجعله يتخبط في ظلمات الجهل أو الهوى.

فيتحصّل من الحديث أنّ الخيريّة التّامة العامّة التي تنفعه، سعادة العبد في دُنياه وآخرته، ليس لها إلا سبيلٌ واحد، وذلكم السبيل هو الفقه في دين الله - سبحانه وتعالى -.

والحمد لله، يعلم الله لوددتُ أن أكون بينكم، مع من حضر إليكم من أبنائنا وأصحابنا وإخوتنا، ولكن عِلِمَ الله عجزنا، فهيّا لنا من يكفينّا، وهم والله الحمد موفّقون ومُرْكُون عندنا وعند مشائخ من أهل السُّنة والله الحمد، فوصيتي لأبنائي وبناتي من أهل الشام، نصرهم الله على عدوهم، وأعادهم إلى ما تركوا من أموالٍ وعتادٍ في نُصرة وعزّة.

الجملة الثانية: وأمّا الجملة الثانية، المُبشّرات، سُمّيت البشارة بِشارة؛ يعني إذا كانت في

الخير، لما يظهر أثرها على أسارير وجه العبد حتى تصبح تهلل وتبرق كما يسيل الماء في الشجر، أقول لا بد من التمهيد لهذه المُبشّرات وهي آية قال -تعالى-: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ

عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٩] الآية،

فما الحكمة من هذه الابتلاءات والمصائب، التي يُقدّرُها الله على من شاء من عباده، ولعلّ

المسلمين أكثر تعرّضاً له، بيّنها في قوله -تعالى-: ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۚ﴾ فلو كان الدَّهرُ

كلُّه سلاماً وبرداً لا اختلط الصّادق والكاذب في إيمانه، فهذه مُحصّات، هذه المصائب مُحصّات،

ومن هنا يستعدُّ المؤمن، فيتضرَّع إلى الله - سبحانه وتعالى - بالدُّعاء، وكشف الكُربة، وأذكرُ في معنى هذه الآية؛ يعني ما يُقوِّي معناها في نفس المؤمن، قوله - صلى الله عليه وسلم - : «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» هذا هو المؤمن؛ ولهذا فإنَّ المؤمن - بني وبناتي ومن حضر من المشايخ - ينظر إلى المصيبة من عدة أوجه:

الأول: أنَّها بقضاء الله وقدره، أو يُسلم بقضاء الله وقدره؛ لأنه عبدٌ ممن خلق الله - عز وجل - .

الثاني: الصَّبر، يَتَجَلَّد وَيَصْبِرُ وَلَا يَجْزِع.

الثالث: الاحتساب؛ احتسابُ الأجر عند الله - سبحانه وتعالى - كما قال - صلى الله عليه وسلم - : «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ هَمٍّ وَلَا نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ (يعني وجع) وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»

بقي بعض الأحاديث ولن أُطيل عليكم - إن شاء الله تعالى - ، قال - تعالى - :

﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ الَّذِينَ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَقِيبُ الْأُمُورِ ۝٤١﴾ الحج: ٤٠ - ٤١ وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]

وقال - صلى الله عليه وسلم - لابن عمه عبد الله بن عباسٍ - رضي الله عنهما - كان رديفًا
له، في حديثٍ طويل: «وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»

فلا تغفلنَّ، يا أبناءنا وبناتنا في الشام، نصرها الله على الملعون الطاغية بشار بن حافض
الأسد- عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ- لَا تَيَأْسُوا، أَنْتُمْ مَوْعُودُونَ بِالنَّصْرِ حِينَ
تَصْبِرُوا، وَبِالْفَرَجِ حِينَ تُكَرِّبُوا، وَحِينَ تُعَسِّرُ عَلَيْكُمْ أُمُورَكُمْ مَوْعُودُونَ بِالْيُسْرِ مَعَهُ عِنْدَ اللَّهِ-
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَاسْتَكْثِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ، وَتَمَسَّكُوا بِسُنَّةِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَأَيَّامِكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَمَنْ حَكَمَتْهُ السُّنَّةُ عَاشَ فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ وَرَغَدٍ مِنَ الْعَيْشِ،
وَسَعَةٍ مِنَ الرِّزْقِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ،

وَمَنْ لَمْ تَحْكَمْهُ السُّنَّةُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُيَاوِي بِهِ، فَأَنْتُمْ - أَعَانَكُمْ اللَّهُ - تَعَالَى - مُبْتَلُونَ، مِنْ دَاخِلِ
بَلَدِكُمْ وَمِنْ خَارِجِهَا، مِمَّنْ يَنْعِقُونَ أَعَانَكُمْ اللَّهُ وَطَهْرُوا لَا بِأَسْ عَلَيْكُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يُفَرِّجَ الْكُرْبَةَ، وَيَكْشِفَ الْعُجْمَةَ، وَيُفَرِّجَ الْهَمَّ،
وَيُعَجِّلَ بِالنَّصْرِ، فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، وَصَابِرُوا، وَاجْتَوُوا إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالذُّعَاءِ
فِي الْأَوْقَاتِ الْفَاضِلَةِ بَيْنَ التَّشْهَدِ وَالسَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ، فَرِيضَةً كَانَتْ أَوْ نَافِلَةً، وَبَعْدَ النِّدَاءِ مَا بَيْنَ
الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَفِي مَنْ تَيَسَّرَ لَهُ الصَّلَاةُ فِي جَوْفٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -
بِالذُّعَاءِ، فَأَبْشِرُوا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ، وَاصْبِرُوا.

وأختم الكلمة وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، السلام عليكم

ورحمة الله وبركاته.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



وجزاكم الله خيرا.